ورقة علمية معدة قدمت في

المؤتمر الإقليمي عن الدراسات العربية والحضارة الإسلامية في أرخبيل الملايو

و الذي تنظمه كلية اللغة العربية و الحضارة الإسلامية

جامعة السلطان الشريف علي الإسلامية

بتاريخ 13- 14 فبراير – 2010م

بعنوان:

الثقافة الإسلامية الملايوية (الألبانية والتركية والعربية...الخ) بين الانفتاح والانغلاق

(رؤية قرآنية ونبوية)

بقلم

د/خيرالدين خوجة

كلية أصول الدين- قسم الدراسات القرآنية والحديثية

جامعة السلطان الشريف علي الإسلامية – بروناي

2010 م

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه واستن بسنته إلى يوم الدين. أما بعد؛

فلقد كان من تشريف الله تبارك وتعالى وتكريمه علي أن أتلقى التعليم الجامعي في مدينة المصطفى صلى الله عليه وسلم، ثم إنه تعالى منّ علي مرة أخرى بأن وفقني للتدريس والعمل فيها. ومن بين المواد الدينية التي قمت بتدريسها كانت مادة: "**الثقافة الإسلامية** "، بمستوياتها المختلفة لطلاب وطالبات جامعة طيبة بالمدينة المنورة لفترة من الزمن غير يسيرة، و لولا ظروف الأولاد التعليمية لما غادرنا تلك البقعة المباركة، والتي أسأل الله تبارك و تعالى أن يعيدني إليها مرة أخرى في أقرب وقت ممكن إنشاء الله، كما أني أسأل الله تبارك وتعالى أن يرزقني الموت فيها إن شاء الله، لأن من تشرف بالإقامة فيها وتشرف بذوق حلاوة الجوار لحبيب الله المختار وآله الأخيار، هان عليه الليل والنهار ونفدت مداد الأبحر والأنهار في بيان الفضائل والآثار للآل والصحب الأطهار.

أرسل الله تبارك وتعالى نبيه محمداً صلى الله عليه و سلم بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وليخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربه، قال تعالى: ﴿ الر ۚ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ [إبراهيم : ١]، فهدى الله به قلوباً غلفاً وفتح آذاناً صماً وعيوناً عمياً.

لا يخفي على أولي الألباب أن الناس في الجزيرة العربية قبل مبعث سيدنا ونبينا محمد كانوا يعبدون الأصنام والأحجار والأشجار ويسجدون للشمس والقمر، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [فصلت: 37]. شاءت حكمة الباري عز وجل أن تعم العقيدة والثقافة الإسلامية أرجاء المعمورة شرقاً وغرباً، شمالاً وجنوباً، وذلك ببركة فتوحات وجهود الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين وببركة جهود التابعين والصالحين من التجار والدعاة، و دخل الناس في دين الله أفواجاً بعد أن كانوا في ضلال مبين، قال تعالى: ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: 1-3].

ومن تلك البلاد التي وصل إليها النور و الهدي الإسلامي منذ قديم الزمن، بلاد أرخبيل الملايو في جنوب شرق آسيا (أندونيسيا وماليزيا وتايلاند والفلبين، بما فيها بروناي وسنغافورة)، والتي أسأل الله تبارك تعالى أن يوفق قادة تلك البلاد الإسلامية لما يحبه تعالى ويرضاه، وأن يوفقهم للسير على نهج أسلافهم في التمسك بالعقيدة الإسلامية وهدي السلف الصالح في مواجهة التيارات الفكرية والدينية المعادية للإسلام والمسلمين.

إن أهمية هذا البحث في هذا العصر البركاني للأحداث والتطورات وفي عصر العولمة تكمن في حديث الناس عن الانفتاح والانغلاق، لأن العولمة كما يرى كثير من المفكرين الإسلاميين تهدف إلى إزالة الحواجز وتقريب المسافات وتذويب الفوارق الاقتصادية والثقافية والدينية. وهذا يعني بناء على هذا المفهوم الانفتاح دون حدود وضوابط في هذا العصر. وفي المقابل يخشى المفكرون والعلماء على المسلمين من خطورة هذا الانفتاح المطلق من الذوبان الكلي أو الجزئي في أحضان تلك الثقافات الواردة. وعلى هذا نادى بعض المفكرين من المسلمين إلى إغلاق الأبواب أمام هذا السيل العرم والغازي الجديد، و فضلوا الفرار وعدم المواجهة نظراً لحالهم الضعيف وعدم القدرة على المقاومة. و السؤال هنا: أي من الفئتين أقوم قيلاً وأهدى سبيلاً: دعاة الانفتاح المطلق أمام الثقافات ما طاب منها و ما خبث، أم دعاة الانغلاق المطلق، هرباً من المواجهة ؟ كما أشار إلى ذلك العلامة الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي حفظه الله [1].

إن تاريخ شعب الملايو وثباتهم وجهادهم في أرخبيل الملايو ضد التيارات الفكرية والعقدية المختلفة والمعادية للإسلام، وثقافتهم وحضارتهم الإسلامية لجدير بالدراسة والتمعن فيها، لكي نرى منهجهم المميز، الوسطي والفريد في الانفتاح على الثقافات الأخرى – والاستفادة منها في مجال العلم والصناعة والتجربة والتكنولوجيا، مما لا يتعارض مع أسس العقيدة الإسلامية والسنة المطهرة – وبين الانغلاق على نفسها و عدم الاستفادة من تجارب الآخرين. لقد أصبح الشعب الملايوي في أرخبيل الملايو مضرب المثل وأسوة حسنة لكثير من البلاد العربية والإسلامية للسير على خطاها ونهجها، فهنيئاً لشعوبها وقادتها بهذه الريادة الدينية والازدهار الصناعي والتكنولوجي. وحول هذه المسألة رأيت كلاماً جميلاً للأستاذ عبد الله جاد فودة حفظه الله، أرى من المهم أن اقتبس فقرات بإيجاز من دراسته العميقة عن سر تقدم ماليزيا تحت قيادة محاضر محمد. قال حفظه الله: " لقد واجهت الشعوب الملايوية تحدياً كبيراً في حياتهم الدينية و الثقافية، لقد تساءل بعض الناس هل يعني مصطلح "**الثقافة الاسلامية** " هل تعني بناء دولة إسلامية تلتزم بتطبيق الشريعة، و بذلك ينتهي كل شيء، و هم يحافظون على الهوية الإسلامية أمام التعدد الديني والعرقي، وهذا هو الحال في النموذج الماليزي – والبروناوي والأندونيسي –، لقد حدد

[1] انظر: القرضاوي، يوسف: **ثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق**، دار الشروق، القاهرة، ط2، 2005 ، ص: 11، و انظر أيضاً: الخالدي وزملاؤه: **الوجيز في الثقافة الإسلامية**، دار الفكر، عمان، الأردن، ط1، 2002، ص: 178-211

الخطاب السياسي الملايوي في أرخبيل الملايو هذه العلاقة على أن الطريق الصحيح هو العيش معًا بسلام بين شعوب مختلفة الديانات و العرقيات[2] . وفي ظل هذا النموذج وهو **" السلام** " مع كافة الأديان و الشعوب على قاعدة العيش المشترك، وبالتالي قادة الشعوب الملايوية لم يطرحوا بشكل محدد شعار بناء دولة إسلامية في تلك المناطق، لأن هذه الدولة لا تتفق مع حقيقة التعدد العرقي والديني في أرخبيل الملايو، و لكن قادة و ملوك تلك المنطقة فكروا في بناء دولة حديثة تحقق الأهداف العامة للإسلام. وقد نظر قادة أرخبيل الملايو إلى الإسلام على أنه بمفهومه الحضاري قوة فاعلة تعطى طاقة عملية وإيمانية وذلك من خلال فهم واع للإسلام على أنه يحقق هدفين هامين أولهما: تكوين نموذج إنساني رائع له طاقات إيمانية هائلة والتي يمكن استثمارها والاستفادة من القيم الإسلامية لمواجهة تحديات العيش المشترك. وقد أدرك الشعب الملايوي قديماً وحديثاً الحاجة إلى التأكيد على الهوية القومية أيضاً والمرتكزة على الإسلام بالنسبة لمواجهة زحف العناصر العرقية الهندية والصينية منذ فترة الاستعمار البريطاني. ويمكن أن نجمل العوامل والأسباب الرئيسة التي دفعت بالشعب الملايوي للحفاظ على الهوية الإسلامية والعيش المشترك:1- رفض قبول المفاهيم الهندية أو الصينية أو الغربية، وما يتولد عنها من رؤية قد لا تتناسب مع خصوصيات المجتمع الملايوي، لكنهم أي قادة الشعب الملايوي في ذات الوقت دعوا إلى استيعابها والاستفادة من الخبرات التكنولوجية المتقدمة، وتسخيرها لخدمة المصالح الوطنية مع مراعاة القيم الإسلامية.2- إن مواجهة تحديات الحياة في أرخبيل الملايو تبدأ من فكرة أساسية مؤداها الانطلاق من واقع المجتمع الملايوي وخصوصياته الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والدينية. ومع الانفتاح على الثقافات الأخرى التي من حولها بكونهم غالبية مسلمة، فقد تبنى هؤلاء منهجاً معتدلاً تجاه الآخرين بناءً على ظروفهم الدينية والاجتماعية. إضافة إلى وضع أنظمة لبعض المشروعات ذات الطابع الإسلامي في مجال كل من البنوك و التأمين. كما تم إنشاء الجامعات الإسلامية العالمية و عدد من المعاهد الإسلامية وشجع النظام أيضًا على إقامة مسابقات للقرآن الكريم – في كل من إندونيسيا وماليزيا وبروناي وسنغافورة و تايلاند – وقد حرصت الحكومات في أرخبيل الملايو عبر بعض المؤسسات الدينية على تنظيم اجتماعات مع غير المسلمين لتأكيد الطابع العالمي للقيم الإسلامية.." [3] .

هذه الورقة ستسلط الأضواء على بعض الجوانب المشرقة المتعلقة بالثقافة الإسلامية من حيث الخصائص والمصادر والأهمية والعلاقة بالثقافات الأخرى ودلائل الانفتاح في الثقافة الإسلامية والانفتاح المحذور. لاشك أن لمثل هذه الموضوعات لا تكفي صفحات هذه الورقة، ولكن حسبنا من ذلك الإطلالة والتعرف والاطلاع على ما عند هذا الشعب الباسل، و ما لا يدرك كله لا يترك جله، و صلى الله على سيدنا محمد و على آله و صحبه و سلم.

---

[2] انظر: عبدالله جاد فودة؛ **الإسلام وتجربة التنمية الماليزية: أسلمة ذات ملامح مميزة** **http://umranyat.blogspot.com/2008/05/blog-post.html**

[3] المرجع السابق، بإيجاز وتصرف شديد

المبحث الأول: مقدمات عن الثقافة الإسلامية و ما يتعلق بها

المطلب الأول: معنى الثقافة لغة واصطلاحاً، علاقتها بالعلم والحضارة، الفرق بينها و بين غيرها من الثقافات

أولا: المعنى اللغوي والاصطلاحي للثقافة: اختلف الباحثون حول معنى الثقافة واستعمالاتها. فما المراد من هذه التسمية ؟ قال العلماء: الثقافة عند العرب وردت على عدة معان وعدة استعمالات: فهي من الأصل الثلاثي مشتقة من مادة (**ثَقَفَ – يَثْقَفُ – ثَقْفاً – وثَقافَةً**) أي؛ حَذَقه وهذّبه، ورجل ثَقْفٌ أي حاذق وفطن وسريع الفهم. فهي من الحِذْقُ والفِطْنة في إدراك الأمور والقضايا. ثم تجوّزَ به واستعمل في معنى الإدراك والظفر بالشيء، فيقولون: ثقفه في موضع كذا، أي أدركه وظفر به، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُم ﴾ ، [البقرة: 191]، وقوله تعالى: ﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾، [الأنفال:57].

كما أن معاجم اللغة تدلنا أن لهذه الكلمة نوعين من الاستعمال، **الأول:** الاستعمال المادي المحسوس، أصله من (**الثِّقَاف**) وهي حديدة يقوم بها الشيئ المعوج، ومنه قولهم: **تثقيف الرماح:** أي تسويتها وتقويم اعوجاجها. والاستعمال **الثاني:** هو الاستعمال الثانوي غير المحسوس، فهو متصل بما سبق من المعاني من الحذق والتعلم و الفهم، كقولهم: **تثقيف العقول والأفكار المعوجة:** أي بمعنى تأديبها و تهذيبها، ويقال: ثقّف الأستاذ التلميذ: أي **أدبه و هذّبه وعلّمه.**

وأما الثقافة في الاصطلاح: تضاربت الآراء حولها. سنحاول بإذن الله في هذه الورقة أن نذكر ملخص آرائهم. قال العلماء: إن الثقافة إذا أطلقت يراد بها: " الأخذ من كل علم بطرف، ولا يراد منها التعمق والتبحر والتخصص في دراسة علم من العلوم أو فن من الفنون، ومنه قولهم: **تعلم شيئاً عن كل شيء لتكون مثقفاً، وتعلم كلَّ شيء عن شيئ لتكون عالماً.** فالإنسان لا يكون مثقفاً ومتبحراً في جملة من العلوم والفنون ما لم يكن حاذقاً وسريعاً في إدراكها وحسن الفهم لها". و بعد النظروالتحليل لما سبق من الأقوال نميل إلى اختيار هذا التعريف للثقافة الإسلامية : " جملة من العقائد والتصورات، والأحكام والتشريعات والقيم والمبادئ، والعوائد والأعراف، والفنون والآداب، والعلوم والمخترعات التي تشكل شخصية الفرد وهوية الأمة وفق أسس و ضوابط الإسلام " [4]

[4] انظر: بادحدح، علي عمر & باجابر، محمد أحمد: **الثقافة الإسلامية**، دار حافظ، جدة– المملكة العربية السعودية، ط1، 1425هـ ، ص 15

ثانياً: علاقة الثقافة الإسلامية بِ" الدين" و "العلم" و "الحضارة" و "المدنية"، والثمرة المترتبة على ذلك

يقول العلماء: إن الثقافة الإسلامية تتطابق مع الدين بالكمال والتمام وما يرفضه الإسلام ترفضه الثقافة الإسلامية وما يقبله الإسلام تقبله الثقافة الإسلامية. وإذا كان شيئ في الثقافة الإسلامية من وضع البشر كالعادات والأعراف والأنظمة فلا بد أن تكون موافقة لمبادئ الدين الإسلامي وأحكامه، وعليه فالثقافة الإسلامية هي صورة الدين على الأرض وتطبيقه في ميادين الحياة. إذن؛ فثمرة هذه المسألة أن الدين الإسلامي هو مرجع الثقافة الإسلامية وضابطها، وما يأباه الدين وترفضه تأباه الثقافة الإسلامية وترفضها، وجميع المسائل المتعلقة بالثقافة الإسلامية من القيم [5] والعادات تخضع لإلزام الدين وإرشاده، وبالتالي فإن تطبيق وتنفيذ منظومة هذه المسائل الثقافية تأخذ صفة العبادة لله رب العالمين شريطة حسن النية.

وأما الفرق بين " **الثقافة**" و " **العلم** " هو أن الثقافة أخص من العلم؛ لأن الثقافة خصوصية مميزة لأمة معينة، بينما العلم هو مشترك عام بين الأمم. والعلم أيضاً إرث إنساني مشترك، وهو قائم على التجربة ونتائجها واحدة، ولا تتأثر بالفكر والعاطفة [6]. وأما مصطلح "**الحضارة** "؛ فالعرب[7] يعنون بالحضارة ما يقابل البداوة، والحاضر خلاف البادي، و الحاضر المقيم في المدن، والبادي المقيم في البادية. وأما في الاصطلاح فهناك اتجاهان في تعريف الحضارة، **الاتجاه الأول:** يرى أن الحضارة مرادفة للثقافة، وهي الروح العميقة للمجتمع، وتقوم على تأكيد الأصالة الروحية والحقيقة الفلسفية والعاطفية للإنسان. وبهذا المفهوم تنحصر الحضارة في الجانب المعنوي والفكري ويستبعد الجانب الصناعي والمادي. و على هذا تكون الحضارة مطابقة لمفهوم الثقافة. **والاتجاه الثاني،** هو اتجاه المدرسة الفرنسية التي ترى الفصل بين عناصر المجتمع بين ما هو فكري و ما هو تكنولوجي، ويطلقون عليها جميعاً مصطلح: **المدنية،** وحسب هذا الاتجاه فليس هناك فرق بين الحضارة و المدنية. وقد ذهب إلى هذا الاتجاه الثاني كثير من الذين كتبوا في تاريخ الحضارة من الغربيين والمسلمين، مثل (غوستاف لوبون، ول ديورانت وحسن إبراهيم حسن، ومصطفى السباعي..) فهؤلاء أرخوا للحضارة بجانبيها ا لفكري والمادي. وبعد النظر والتحليل فيما سبق نميل إلى اختيار هذا التعريف للحضارة: " **هي كل مركب من العقائد والنظم ومظاهر السلوك والعادات والتقدم العلمي والتكنولوجي والوسائل والأدوات، في مجتمع ما** ". وعندما نقول: الحضارة الإسلامية فنعني بها: عقيدة الإسلام وأحكامه وسلوكه ونظمه السياسية والاقتصادية والاجتماعية وطرائق المسلمين في توظيف البيئة، بما في ذلك الوسائل والأدوات والمكتشفات الصناعية[8] وأما

---

[5] سعيد، همام & الخالدي، صلاح& حمودة، محمود: **الوجيز في الثقافة الإسلامية**، دار الفكر، عمان – الأردن، ط1، 2002، ص 28-29

[6] بادحدح، علي عمر: **الثقافة الإسلامية** ، ص 17، و انظر أيضاً: صلاح عبد الفتاح الخالدي وزملاؤه: **الوجيز في الثقافة الإسلامية** ، ص 20-24

[7] انظر: بن منظور، جمال الدين بن مكرم؛ **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، لبنان، ط.د، ت.د، **مادة: حضر**

[8] الخلدي، صلاح عبد الفتاح وزملاؤه: **الوجيز في الثقافة الإسلامية**، 2002، ص 29-30

مصطلح "**المدنية**"، فيقول العلماء إن أصل معناها اللغوي، نسبة إلى المدينة، وفي الاصطلاح، هنالك اتجاهان في تعريف المدنية:- **الأول**: أنها تقتصر على الجانب المادي من الحياة مشتملة على مظاهر الرقي العمراني والتكنولوجيا. **والاتجاه الثاني**: أن المدينية عنوان للجانبين الفكري والمادي. وعلى هذا تكون المدنية:"**ذلك الكل المركب من العقائد والأخلاق والعادات ومظاهر السلوك والتقدم التكنولوجي والمادي والوسائل والأدوات في مجتمع ما**".

والثمرة من هذه العلاقة بين هذه المصطلحات:-

1- أن الثقافة تقتصر على الجانب القيمي والسلوكي والاجتماعي للمجتمع.
2- والمدنية تقتصر على الجانب المادي الصناعي بما فيه من أدوات ووسائل مفيدة.
3- والحضارة هي الجامع بين العنصرين؛كالجمع بين الجسد و الروح.

و يترتب على هذا التوفيق أن لكل أمة حضارتها التي تميزها عن غيرها. فحضارة الملايو غير حضارة الصين، وحضارة الأتراك غير حضارة الهنود...الخ،[9] والله أعلم.

ثالثاً: أهمية الثقافة الإسلامية:

يمكن حصر أهمية الثقافة الإسلامية في النقاط الآتية:

يقول فضيلة الدكتور يوسف القرضاوي حفظه الله في هذا الصدد ".. والأمم بلا ريب تختلف في ثقافاتها اختلافاً كبيراً، فمنها ما تتجه ثقافتها نحو الروح، ومنها نحو العقل، ومنها نحو الحس أو المادة، ومنها ما يتصل بالأرض، ومنها ما يتصل بالسماء، ومنها ما يعترف بالله رباً خالقاً ولا يعترف به إلهاً معبوداً، ومنها ما يعترف به معبوداً ولا يعترف به حاكماً أعلى الذي من حقه أن بأمر و أن ينهى و أن يشرع لعباده، و يحل و يحرم. ومن الثقافات ما يجمع بين هذه الأمور كلها، فلا يبغي غير الله رباً، ولا يتخذ غير الله إلهاً و لا يبتغي غير الله حَكَماً.." [10].

أولاً: التميز في الهوية و المقومات: إن المسلم المثقف يتميز عن غيره من المثقفين في كل مجالات الحياة، وإن كان مشتركاً مع غيره في الإنسانية أو البشرية. فتر ى المسلم مميزاً في أخلاقه وسلوكه وتعامله وأكله وشربه. فهو لا يستطيع أن يذوب في المجتمعات الأخرى وإن عاش في أوساطها. ثقافته الإسلامية هي التي تحفظه وترعاه من الانصهار والذوبان، قال تعالى: ﴿

[9] المرجع السابق، بتصرف شديد، ص 30-31

[10] القرضاوي، يوسف؛ **ثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق**، ص 19

وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾، [الفرقان:63]

ثانياً: العمق والارتباط التاريخي: والثقافة الإسلامية تتسم بالعمق، أصلها ثابت وفرعها في السماء، لها ارتباط بالتاريخ الإسلامي المشرق، ولها صلة وثيقة بماضيها. فهي ليست ثقافة مولدة أو مكتسبة. هناك دول متطورة صناعياً وتكنولوجياً، ولكن ليس لها عمق تاريخي وماضٍ سحيق لهويتها الدينية، قال تعال: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾، [الشورى:13]

ثالثاً: الاعتزاز و الانتماء الحضاري: المسلم المثقف يحس في كيانه و في سويداء قلبه بالعز والكرامة والافتخار، وهذا لا يعني التعالي على الآخرين وإبخاس حقهم أو ظلمهم. فتراه متحضراً و مؤدباً و محترماً للآخرين. انتماؤه الحضاري الإسلامي يدفعه إلى هذا النوع من الأخلاق والسلوك، قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾، [المنافقون:8]، وقال تعالى: ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾، [فاطر:10]

رابعاً: القدرة على التفاعل الواقعي [11]: والثقافة الإسلامية لها قدرة إيجابية فاعلة. فهذا الإسلام يأمر أتباعه بالسعي في الأرض وإعمارها، وفي مجال الحياة الاجتماعية سلوكه يتمثل في تطبيق قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ. ﴾، [النحل:90].

رابعاً: الفرق بين الثقافة الإسلامية وغيرها من الثقافات

الأمة الإسلامية لها ثقافتها التي تشكل شخصية الفرد والأمة؛ وتميزها عن غيرها، ومتى ابتعدت الأمة الإسلامية عن ثقافتها وتشريعاتها الربانية وآدابها السامية؛ لا شك أن مصيرها سيكون إلى الزوال والهلاك. أما ثقافات الأمم الأخرى، ففيها الحق والباطل لأنها من وضع البشر، وقد تكون متعارضة ومتصارعة ومتناقضة فيما بينها ومختلطة بالنظريات الوضعية البشرية..الخ، وهنا الخلل والضعف في ثقافات الأمم الأخرى [12]، قال تعالى: ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾، [المائدة:50]

---

[11] با دحدح، علي عمر وزملاؤه ؛ **الثقافة الإسلامية**، ص 73-77

[12] انظر: مصطفى، نادية محمود، **خصائص الثقافة العربية والإسلامية**، دار السلام، القاهرة، ط1، 2006، ص 5-17 ، وانظر أيضاً: القرضاوي، يوسف؛ **ثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق**، دار الشروق، القاهرة، ط2، 2005، ص 19-22

خامساً: أسباب التغير الثقافي و إلى أي مدى غير الإسلام ثقافات الأمم

يرى كثير من المفكرين والعلماء أن ثقافات الأمم قابلة للتغيير والتبدل. هذه الحقية التاريخية وجدت قديماً وحديثاً، وقد رأينا هذه الحقيقة وشاهدناها أيضاً في القرن العشرين لدى الدول التي مزقتها الحروب الداخلية والاستعمار[13] في بلاد البلقان؛ في البوسنة والهرسك وفي دولتي في كوسوفا مؤخراً. تم هذا التغيير الثقافي في البوسنة وفي كوسوفا بطريقة منهجية باسم نشر ثقافة الديموقراطية وتارة باسم تقديم المساعدات الإنسانية من قبل الأمم المتحدة والمنصرين والمبشرين وقوات حفظ السلام متعددة الجنسيات والعرقيات والأديان. ولقد أصبحنا نشاهد بعد ما وضعت الحرب أوزارها ظواهر اخلاقية وقيم اجتماعية منحطة لدى أبنائنا وإخواننا وأخواتنا المسلمين والمسلمات، فوا الله المستعان وعليه التكلان ولاحول ولا قوة إلابالله العلي العظيم. هذه الظاهرة وجدت أيضاً في المشرق العربي أيام الاستعمار البريطاني والفرنسي، والاستعمار الهولاندي والبرتغالي لهذه البلاد الملايوية. كما أنها وجدت في بدايات القرن العشرين إبان سقوط الخلافة الإسلامية للدولة العثمانية في تركيا وفي العصر الراهن في حرب العراق وأفغانستان. حول هذه المسألة المهمة أرى من الضروري أن أنقل بإيجاز كلام الشيخ الدكتور عمر سليمان الأشقر، حيث يقول فضيلته: " ثقافات الأمم قابلة للتغيير والتبدل، فالإسلام غير ثقافات العرب في جاهليتها، والنصارى غيروا ثقافة المسلمين...والتغيير الثقافي له أسبابه...منها: اقتناع أمة أو جماعة بدين أمة أخرى أو ثقافتها، كما اقتنع العرب وكثير من الأمم الكافرة بالإسلام..ومنها: إعمال أهل الرأي والسادة المتبوعين رأيهم و جهدهم في إحداث تغيرات جوهرية في أممهم، و أقرب مثال على ذلك ما يقوم به علماء الغرب ورجال الحكم فيهم من تغيرات..فقد أحلوا لهم الإجهاض والزنا و اللواط والسحاق والطلاق..." [14].

وأما المدى الذي غير إليه الإسلام ثقافات الأمم، فبدخول الناس إلى الإسلام، غير الإسلام ثقافاتهم وعاداتهم وتشريعاتهم البشرية المخالفة الإسلام، والذي تبقى من هذه الثقافات أمران: الأول: ما يوافق الإسلام من قيم وفضائل وأخلاق وتشريعات..و الثاني: ما بقي في دائرة المباح، فدائرة المباح في اللباس والأطعمة والمساكن متنوعة متعددة، ولذا ترى اختلافاً في عادات الأمم..كما أن الإسلام قد غير كثيراً من القضايا العقدية والفكرية والشركية من عبادة الأصنام ووأد البنات و تبرج النساء..فإنه أقر بعض العقائد والفصائل والشعائر الصحيحة التي كانت عند العرب كتوحيد الربوبية، والطواف بالبيت، والسعي بين الصفا والمروة وإكرام الضيف..والسر في ذلك كما يقول العلماء إن الأمم لا يمكن أن يكون فكرها وعملها متجهاً للشر الكلي أو الشر المطلق، ولكن الخير يختلط بالشر، وهنا يتدخل الوحي الإلهي من السماء لتقويم الاعوجاج، وإقرار الخير لدى

---

[13] انظر:، جريشة، علي &الزيبق، محمد شريف، **أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي**، دار الوفاء، المدينةالمنورة، ط3، 1979، ص 70-74

[14] الأشقر، **نحو ثقافة إسلامية أصيلة**، دار النفائس، عمان- الأردن، ط12، 2001، ص 33-34

تلك الأمم. فالإسلام لم يجردهم ولم يسلخهم عن مألوفهم بالكامل، لأن الفضائل تتعدد ودائرة المباح واسعة [15]، وفي هذه النقطة تظهر قوة الإسلام وسماحته وعدالته وإنصافه في تعامله مع الثقافات الآخرى. لقد حافظ الإسلام على الهوية القومية من الضياع والانصهار، كما أنه حافظ على الخصائص [16] العرقية لكل الشعوب الذين دخلوا في دين الله، ولم ينهج الإسلام منهج التطهير العرقي أو القتل الجماعي أو التجريد الكلي أو التغيير الطوبوغرافي لأسماء الأشخاص والأماكن والآثار التاريخية، ولم يسلخهم من الخصائص والسمات الموروثة لكل الأمم والشعوب، كما فعلت النصرانية في الأندلس مع المسلمين والصرب الأرثوذكس مع الألبان. ولكنه حافظ عليها شريطة أن لا تتعارض تلك السمات والخصائص مع صريح الكتاب وصحيح السنة النبوية[17].

المبحث الثاني: مصادر الثقافة الإسلامية، مقوماتها، وأهم معالمها

يمكن حصر مصادر الثقافة الإسلامية في الآتي مع إيجاز شديد عن بيان فضل كل مصدر من تلك المصادر[18].

المطلب الأول: أ– القرآن الكريم: القرآن الكريم هو كلام الله عز و جل، المنزل على رسوله محمد صلى الله عليه و سلم، المتعبد بتلاوته، الواصل إلينا بالتواتر، المعجز بآية أو سورة منه، الموجود بين دفتي المصحف.

والقرآن الكريم هو وحده جدير بالاتباع دون غيره من الكتب، و بنزوله نُسخت الشرائع السابقة ولم تعد صالحة للاتباع والسير وراءها، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾، [آل عمران: 19] ، وكما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾، [آل عمران: 85]، فهو وحده الذي يملك الهداية الالهية الربانية الصافية و

---

[15] حول دائرة المباح و القضايا الأخرى الإسلامية المتعلقة بهذه المسألة..انظر: الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي، **الموافقات في أصول الشريعة**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 2004، ج1، ص 63-86

[16] انظر: القرضاوي، يوسف، **الخصائص العامة للإسلام**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط10، 1997، ص 9-54

[17] انظر: الاشقر، **نحو ثقافة إسلامية أصيلة**، ص 36- 40، القرضاوي، يوسف، **ثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق**،ص: 19-31

[18] من المراجع المهمة لتطوير القدرات والمهارات العلمية و الاخلاقية للأجيال الإسلامية و طلاب المدارس والجامعات ينصح بالرجوع إلى مؤلفات العلامة والباحث التربوي الاجتماعي و الحاصل على جائز الملك فيصل العالمية، أ.د. مقداد يالجن من تركيا، من بين تلك المؤلفات: 1- **سبل النهوض بالطلاب خلقياً وعلمياً إلى مستوى أهداف الأمة**، دار عالم الكتب للطباعة، المملكة العربية السعودية ط1، 1999 ، 2– **تربية الأجيال على أخلاقيات وآداب المناقشة والمحاورة والمناظرة العلمية**، دار الكتب العالمية، المملكة العربية السعودية، ط1، 2004

من ابتغى[19] الهدي الإلهي في غيره أضله الله قال تعالى: ﴿ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا ۖ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾، [البقرة: 137]

ب– الحكمة من نزول القرآن منجماً: كان من حكمة الله عز وجل أن يتم نزول القرآن منجماً، ولم يكن نزوله دفعة أو جملة واحدة. والقرآن هدى وشفاء، تشريع وتكليف، نزل على الرسول صلى الله عليه و سلم ليقود على هديه البشر، ويداوي به أمراضهم الاجتماعية، ويمدهم بطاقة مادية وروحية، وهو ليس بالقصير الذي يمكن قراءته في جلسة، أو حفظه في يوم، ولهذا كان من حكمة الله أن ينزل على الرسول صلى الله عليه وسلم مفرقاً. ولهذا النوع من التنزيل حكم تربوية عظيمة نجملها في هذه النقاط:1- معالجة بناء الأمة الإسلامية وفق التدرج، التي تخضع له سنة الحياة بشكل عام. 2- تسهيل الحفظ والتدبر للقرآن الكريم وذلك بإتاحة الفرصة لتلقي القرآن فترة بعد فترة، حتى يحفظوه و يتدبروه. **3–** تثبيت فؤاد النبي صلى الله عليه و سلم في مواجهة الأحداث الثقال والتحديات الكبيرة التي كان يواجهها في حياته. 4- مراعاة مناسبات الأحداث والأسئلة والاستفتاءات وما تتحدث به نفوس المؤمنين والمنافقين أو غيرهم لإنزال الآيات لبيان تلك الأسرار. **5–** التنجيم فيه التنبيه على أن القرآن الكريم من عند الله عز وجل، فآيات عتاب الرسول صلى الله عليه و سلم، فيها أعظم دليل على أن القرآن الكريم من عند الله عز وجل [20]. وقد أشار القرآن الكريم إلى بعض هذه الحِكم من نزوله مفرقاً. قال تعالى: ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴾، [الإسراء:106]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴾، [الفرقان:32

د– السبب الذي من أجله نزل القرآن: وأما عن الموضوعات التي اشتمل عليها القرآن الكريم[21]، فنقرر ونجزم ابتداء بأن القرآن الكريم هوكتاب هداية وعقيدة. أنزله الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم لهداية الناس وليخرجهم من الظلمات إلى النور وليكون للعالمين بشيراً ونذيراً. فيه سعادة الإنسان العاجلة والآجلة، وهذا هو الغرض الاساسي الذي من أجله أنزل القرآن. والقرآن الكريم ليس في الأصل كتاب علم رياضيات أو جغرافيا أو كيمياء أو الطب أو الفزياء أو غير ذلك. وإنما فيه إشارات ومفاتيح إلى تلك العلوم البشرية النافعة. والإنسان المسلم مطالب بالبحث الدراسة والتدبر لاسرار تلك العلوم لأن

---

[19] حول عظمة معجزات القرآن وإعجازه العلمي و التشريعي و الخلقي و أثره في اللغة والآداب..انظر: **المعجزة الخالدة** ، للأستاذ الدكتور حسن ضياء الدين عتر، دار نور المكتبات، جدة، ط4، ص 125 -161،

[20] للتفصيل حول هذه المسألة انظر: الزرقاني، عبد العظيم، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، دار الملايين، بيروت، ط4، ج1، ص 60-75، و انظر ايضاً: القطان، مناع، **مباحث في علوم القرآن**، دار المعارف، الرياض، ط 3، ص 105 -118، وانظر ايضاً:
http://www.balagh.com/mosoa/ejaz/ay0zqw4o.htm

[21] للتوسع..انظر، الاشقر، **نحو ثقافة إسلامية أصيلة**، دار النفائس، عمان– الأردن، ط12، 2001، ص 36– 40

المفاتيح بيده [22].

هـ- إعجاز القرآن الكريم: يمكن بإيجاز ملاحظة جوانب الإعجاز القرآني: فهو معجز في بنائه التعبيري وتنسيقه الفني، حيث ترى خصائصه التعبيرية على مستوى واحد و على نسق واحد ثابت. وهو معجز في بنائه و تناسق أجزائه وتكاملها فلا تعارض ولا تناقض ولا صدام بين أجزائها وآياتها وسورها وموضوعاتها. وهو معجز في مداخله إلى النفوس والقلوب والتأثير عليها. وهو معجز في أخباره عن عالم الغيب والمغيبات الماضية والآتية. هو معجز في أحكامه و تشريعاته وصلاحيتها وشمولها.

ز – وأخيراً واجبنا نحو القرآن الكريم : أما واجباتنا نحو القرآن الكريم فهي كثيرة، ولكن الباحث سيوجزها في خمس نقاط دون التفصيل. ذكر بعض أهل العلم أن واجبات المسلمين نحو القرآن الكريم يمكن إيجازها في:أولاً: **واجب التلاوة والتجويد،** ثانياً: **واجب الحفظ والتمكين،** ثالثاً: **واجب التدبر والتعلم،** رابعاً: **واجب العمل والتخلق،** خامساً: **واجب الدعوة والتعلم** و يمكن أن نضيف **واجب الحب والإجلال والتعظيم** لهذا الكتاب العزيز ..[23]. والمقام في هذه الورقة العلمية للمؤتمر لا يسمح بالتوسع في هذه النقاط فنؤجل بيان تفصيلها إلى حين آخر بإذن الله تعالى.

المطلب الثاني: السنة النبوية: أولاً: تعريف السنة لغة واصطلاحاً: ذكر العلماء أن السنة لغة: من مادة (**سنّ**). يقول ابن فارس في معجم مقايس اللغة: " السن والنون أصل واحد مطرد، وهو جريان الشيئ واطراده بالسهولة. والأصل:(سننت الماء على وجهي أسنه سنّاً إذا أرسلته إرسالاً ". وقال ابن الأعرابي: " السنّ مصدر سنّ الحديد سنّاً، وسنّ للقوم سنة وسناً، وسنّ الإبل يسنّها سنّاً إذا أحسن رعيتها، حتى كأنه صقلها. وسنّن المنطق حسنه، فكأنه صقله" . وسنة النبي صلى الله عليه وسلم تحمل هذه المعاني اللغوية، لما فيها من جريان الأحكام واطرادها، وصقل الحياة الإنسانية بها... ويستفاد من هذه المعاني اللغوية أن السنة فيها معنى التكرار والاعتياد وفيها معنى التقويم وإمرار الشيء على الشيء من أجل إحداده و صقله..وسن الله سنة أي بين طريقاً قويماً، وسنّةُ الله: أحكامه وأمره ونهيه، و قد ورد ذكر السنة والسنن في القرآن الكريم سبع عشرة مرة، والمعنى في جميع المواضع أحكام الله الجارية المطردة [24].

---

[22] للتوسع حول هذه المسألة..انظر: اللاحم، خالد بن عبد الكريم، **مفاتح تدبر القرآن و النجاح في الحياة**، الرياض، ط1، 2004، ص 19-67 وانظر أيضاً: السنيدي، سلمان بن عمر، **تدبر القرآن**، كتاب المنتدى الإسلامي – مجلة البيان، ط1، 2001، ص 29-84

[23] حول هذه المسألة المهمة..انظر : الغزالي، محمد، **كيف نتعامل مع القرآن**، دار المعرفة، القاهرة، ط2، 1996، ص 30-56 ، القرضاوي، يوسف؛ **كيف نتعامل مع القرآن**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 2001، 50-95، وانظر: الغزالي، محمد؛ **السنة النبوية بين أهل الفقه والحديث**، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1995، ص 5-35

[24] الخلدي، صلاح عبد الفتاح وزملاؤه: **الوجيز في الثقافة الإسلامية**، ص 53-54

وأما السنة في اصطلاح علماء الحديث وأصول الفقه في إجمالها هي أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته وصفاته الخُلقُية والخَلْقِية، والسبب في اختلافهم في التعاريف كان بسبب اختلاف الاختصاص لكل علم. فأهل الحديث نظروا إلى السنة من باب الاقتداء والتأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم، وأهل الأصول نظروا بصفته المشرع و المبين عن الله تعالى، فأخذوا عنه ما يصلح أن يكون دليلاً لحكم شرعي من حلٍّ وحرمة...الخ.

ثانياً- أما منزلة السنة [25] من القرآن فهي على وجوه:

أ- موافقتها لما في كتاب الله تعالى، كالأمر بالصلاة والزكاة.

ب- مشرعة بأحكام لها أصل في الكتاب، كنهي الرسول صلى الله عليه و سلم عن أكل اللحوم الأهلية وأكل كل ذي ناب من السباع. وأصل هذا التحريم قوله تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾، [الأعراف: 157]

ج- مشرعة لأحكام مستقلة لم ترد في كتاب الله عز وجل، مثل تحريم الرسول صلى الله عليه و سلم الجمع بين المرأة وعمتها والمرأة وخالتها في النكاح..**رابعاً**: مبينة لما جاء في كتاب الله مجملاً، أو موضحة للمبهم، أو مخصصة للعام، أو مقيدة للمطلق، قال تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾، [النحل:44]. وقد الأمر بالصلاة مطلقاً عاماً، وكذلك الأمر في الزكاة، وكذلك بين الرسول مكان القطع في اليد..الخ. وقد أجمع العلماء على حجية [26] السنة النبوية ومصدريتها للأحكام والاحتجاج بها مستدلين بقوله تعالى: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾، [الحشر:7]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴾ [الأحزاب:36]

ثالثاً: مصدرية السنة للثقافة: فالمسلمون يستمدون القيم والاتجاهات والعادات والقضايا القانونية والسمات الشخصية من السنة النبوية الصحيحة، لأن السنة مفصلةو مبينة لما أجمله القرآن الكريم و حملت إلى البشرية أنموذجاً بشرياً قرآنياً فريداً. وقد

---

[25] **الثقافة الإسلامية – المستوى الثاني**، من اعداد: د/فايز حابس، د/رضا محمد السنوسي، د/ محمد با جابر، مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، ط1، 2006، ص 135-141

[26] حول هذه المسائل المتعلقة بالسنة النبوية من حيث تقسيمها إلى تشريعية وغير تشريعية وحجيتها..انظر: **تقسيم السنة إلى تشريعية وغير تشريعية** للأستاذ الزميل والأخ الفاضل الدكتور، محي الدين بن قدرت بن شيرين السمرقندي فرج الله عنه و يسرالله أمره، دار الكتب العلمية، بيروت، 2008، ص 18-35، وللتوسع و المزيد راجع الموسوعة الأصولية للإمام الشاطبي: **الموافقات في أصول الشريعة**، ج1، ص726-770

تركت السنة أثارها العميقة في العالم الإسلامي وغير الإسلامي واعترف بذلك الغربيون بأن شخصية نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فس الرتبة الأولى في قائمة العظماء. وقد ذكر بعض العلماء آثار السنة على الثقافة الإسلامية [27] في هذه النقاط:

- السنة النبوية تنشئ مجموعة ضخمة من القيم والمعايير والأهداف النبيلة. والسنة تشكل قواعد ملزمة وضوابط حاكمة، والأمثلة على ذلك في ميدان الشخصية الفردية وميدان المجتمع و ميدان الدولة، وبعضها في السلم وبعضها في الحرب..قال صلى الله عليهو سلم: " **الدين النصيحة** [28] " ، وقال صلى الله عليه و سلم:" **من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه**.."، وقال صلى الله عليه وسلم: " **من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد** " [29].
- السنة النبوية تبين طرق المعرفة الصحيحة، وتجفف منابع الأوهام والأساطير، وتطالب بالمنطق والدليل السليم، قال صلى الله عليه و سلم:" **لا عدوى ولا طيرة ولا غول** [30] "، أي أن العدوى ليست حتمية، ولاتكون إلا بأمر الله، ومعنى لا طِيَرَةَ: التطير: هو التشاؤم، وهو أسلوب عند العرب في الجاهلية كانوا يطلقون طيراً، فإن طار يميناً تفاءلوا، وإن طار شمالاً تشاءموا، ومعنى لا غول: نفي وجود الغول وهو الكائن الخرافي الذي يكثر في القصص لتخويف الأطفال.
- والسنة النبوية تنشئ منظومة واسعة من الأخلاق العملية والسلوكية، مثل قوله صلى الله عليه وسلم: " **ليس منا من لم يرحم صغيرنا و يعرف شرف كبيرنا** "، وقوله:" **لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من الكبر**.." [31].

المصدر الثالث: الفكر والتراث الإسلامي:

الفكر الإسلامي من أخص خصائص الإنسان المسلم، ولقد أصاب من قال: أنا أفكر فأنا موجود. والحياة الإنسانية تفاعل بين العقل والوجود، وخلف كل عمل أو حركة فكرة. وللثقافة الإسلامية فكرومفكرون، والفكر في ثقافتنا ينطلق من

---

[27] الخالدي، صلاح عبد الفتاح وزملاؤه: **الوجيز في الثقافة الإسلامية**، وانظر: علوان، عبد الله ناصح؛ **الشباب المسلم في مواجهة التحديات**، دار القلم، دمشق، ط4، ص 221- 275

[28] أخرجه **أحمد في مسنده**، 2297، والترمذي (1926)

[29] أخرجه **البخاري في صحيحه**، (2697)، **و مسلم** في صحيحه (1718)

[30] أخرجه **أحمد في مسنده**، 269/1، وابن ماجة (3539).

[31] أخرجه **مسلم في صحيحه**، (91)، و أحمد في مسنده، 1/ 312، و أبو داود (4091).

خصائص هذه الثقافة، **ومن خصائص الفكر والتفكير**:

- أن الفكر والتفكير فريضة إسلامية، بينما عند الثقافات الأخرى نتيجة حاجة لتحسين الحياة وحل المشاكل..قال تعالى: ﴿...كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾، [البقرة: 219].
- الفكر والتفكير من وسائل فهم الشريعة واستنباط الأحكام إن لم يرد نص من الكتاب أو السنة. قال تعالى: ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾،[النساء:83]، وهذا هو الاجتهاد المطلوب الذي أحالت الشريعة الكثير من الأحكام الشرعية الذي فيه الحل للمستجدات والحوادث [32].

المبحث الثالث: مقومات الثقافة الإسلامية ومعالمها

أولاً: المقومات:

1- الدين: لا شك أن الدين هو العنصر الأساسي في تكوين الثقافات، ولكن الدين الإسلامي عند المسلمين هو صانع ثقافتهم والمحافظ عليها والمجدد لها. والإسلام قد ربط عناصر الثقافة الإسلامية كلها برباط عقيدة التوحيد والجزاء والمصير، فقيمها إسلامية وإنسانية؛ كالحق والعدل والصدق والإخلاص والإيمان والأخلاق والتعاون والإيثار وإكرام الجار وصلة الأرحام، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾،[الأنعام:162]

2- التاريخ الإسلامي: وعلم التاريخ مهم جداً للمثقف المسلم، والهدف من دراسة التاريخ هو الاعتبار والاتعاظ بتلك الأحوال والتنصح بها، والوقوف على تجارب تلك الأمم السابقة، والتأمل في عوامل النهوض والرقي، و أسباب الانهيار والسقوط، قال تعالى:﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾، [يوسف:111]، فهو يعتبر بالنسبة للمثقف المسلم سجلاً هاماً للأمة الإسلامية، وفي ضوء ذلك نروي تاريخ الخلفاء الراشدين والعلماء الأبرار المصلحين والمجاهدين الأخيار. فللتاريخ صفحات بيضاء مشرقة كما أن له صفحات سوداء مظلمة، فهذا هو المنهج الإسلامي في قراءة التاريخ بشقيه المضيء والمظلم [33].

---

[32] انظر: المرصقي، سعيد؛ **الثقافة الإسلامية و أثرها في تكوين الشخصية الإسلامية**، دار اليقين، المنصورة، ط1، 2004، ص 78-84، و انظر أيضاً: مسلم، مصطفى & الزغبي، فتحي محمد؛ **الثقافة الإسلامية: تعريفها- مصادرها- مجالاتها- تحدياتها**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 2004، ص، وانظر؛ الخالدي، صلاح عبد الفتاح وزملاؤه: **الوجيز في الثقافة الإسلامية**، وانظر أيضاً: علوان، عبد الله ناصح؛ **الشباب المسلم في مواجهة التحديات**، ص 221- 275

[33] انظر المراجع السابقة بالتوسع، وانظر أيضاً: الجنيدي، عبد الله شاكر: **محاضرات في الثقافة الإسلامية**، دار الاندلس، حائل، ط 3، 2004، 11-32

3- اللغة العربية: اللغات عامة، واللغة العربية خاصة، لها أهمية خاصة في حياة الإنسان عموماً المسلم المثقف خاصة. واللغة العربية هي الوعاء الذي حفظ به كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، إلا أن للقرآن الكريم والسنة النبوية فضلاً على اللغة العربية، ولولا القرآن الكريم والسنة النبوية لاضمحلت اللغة العربية في غيرها من اللغات عبر العصور إلى يومنا هذا، " فهي بلغت أقصى درجات الكمال و هي من ثم – وخاصة مفرداتها الإسلامية الأساسية غير خاضعة للتغيير والتطوير.."، لأن الله تبارك و تعالى يقول: ﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ.. ﴾، [الزمر: 28]، ويفهم من طريق مفهوم المخالفة أن بقية اللغات يمكن أن يكون فيها الإعوجاج، أو التغيير والتطوير. وهذه حقيقة مشاهدة وملموسة لدى بقية اللغات، وتمتاز اللغة العربية عن غيرها من اللغات بمزايايا عديدة، منها: مرونتها وسعة اشتقاقها، استجابتها لنواحي التجديد، صلاحيتها لمواكبة العصر وقدرتها على بيان والتفاعل مع المصطلحات العلمية الحديثة [34].

وأهمية تعلم اللغة العربية للمسلم المثقف قضية لا تحتاج إلى بيان، لأن هذه الشريعة الإسلامية نزلت بلغة العرب وعلى معهود العرب، وكما قال الإمام الشافعي إن الله تبارك وتعالى خاطب العرب بلسانها على ما تعرف من معانيها، ولا مدخل للألسن الأعجمية فيها. وقال الإمام الشاطبي: " ومن أراد تفهمه – أي القرآن – من جهة لسان العرب يفهم و لا سبيل إلى تفهمه من غير هذه اللغة ". وفضل القرآن الكريم على اللغة العربية يظهر بأنه حافظ عليها إلى قيام الساعة، فلو لا القرآن لكانت اللغة العربية مجرد لهجة محلية يتعرف عليها مجموعة من البشر ثم تمحى، كما حصل للهجة القبطية في مصر، واللهجة النبطية في العراق، واللهجة الآرامية في الشام.

كما أن القرآن الكريم رقّاها بما أدخل فيها من معان و ألفاظ جديدة وتراكيب بلاغية و بعض الألفاظ التي لم تكن مألوفة. والقرآن الكريم أيضاً ساعد على انتشارها مع انتشار الإسلام، لأن التعبد بتلاوة القرآن لا يكون إلى باللغة العربية، كما أن ارتباط القرآن والسنة باللغة اضفى عليها طابع القداسة، وقد أثر عن عمر بن الخطاب أنه قال: "من استطاع أن يتكلم بالعربية فلا يتكلم بغيرها"، وقد حاول الأعداء قديماً وحديثاً أن يقضوا على اللغة العربية ينشر ودعم اللهجات العامية المحلية لتحل محل الفصحى، وإبعاد العرب المسلمين عن لغتهم الأم بأساليب عديدة، منها مزاحمة اللغات الأجنبية حتى تضعف ويقل تأثيرها [35].

ثانياً: معالم الثقافة الإسلامية: بإيجاز شديد نقول إن لكل ثقافة من الثقافات علامات تدل عليها وتميزها عن غيرها. فمن معالم الثقافة الغربية طلب المتعة الدنيوية بكل أنواعها، ومن الثقافة العربية الجاهلية سلطان الجن والعرافين على الحياة.. ومن

[34] انظر: علوان، عبد الله ناصح؛ **الشباب المسلم في مواجهة التحديات**، دار القلم، دمشق، ط4، 2002، ص 125-160

[35] أنظر: صالح هندي وزملاؤه؛ **الثاقفة الإسلامية**، دار الفكر، عمان- الأردن، ط2، 2000، ص 83-85

معالم الحضارة اليونانية والرومانية الاهتمام بالجسد ومتعته. أما الثقافة الإسلامية فمعالمها كثيرة، فمن هذه المعالم: 1- بناء العقل والوعي السليم، 2- غرس العقيدة الإسلامية الصحيحة المبنية على نورالتوحيد 3-بناء الشخصية الإسلامية، 4- تميز الأمة المسلمة، 4- عمارة الأرض وإصلاحها.

المبحث الرابع: خصائص الثقافة الإسلامية

أشار فضيلة الدكتور يوسف القرضاوي في كتاب له عن ثقافة الداعية في هذا العصر، فذكر باختصار أن الداعية يفتقر إلى ستة أنواع من الثقافات لبيان دعوته و إيضاح فكرته، و هي: **الثقافة الدينية، والثقافة اللغوية والأدبية، والثقافة التاريخية، والثقافة الإنسانية** ما يتصل بالعلوم الاجتماعية، **والثقافة العلمية، والثقافة الواقعية** [36].

حول مكانة الثقافة الإسلامية بين الثقافات الأخرى:

يقول العلامة د.القرضاوي حفظه الله:

" والأمم بلا ريب تختلف في ثقافاتها اختلافاً كبيراً، فمنها ما تتجه ثقافتها نحو الروح، ومنها نحو العقل، ومنها نحو الحس أو المادة، ومنها ما يتصل بالأرض، ومنها ما يتصل بالسماء، ومنها ما يعترف بالله رباً خالقاً ولا يعترف به إلهاً معبوداً، ومنها ما يعترف به معبوداً ولا يعترف به حاكماً أعلى الذي من حقه أن بأمر و أن ينهى، و أن يشرع لعباده، و يحل و يحرم. ومن الثقافات ما يجمع بين هذه الأمور كلها، فلا يبغي غير الله رباً، ولا يتخذ غير الله إلهاً و لا يبتغي غير الله حَكَماً.." [37].

و نحن في هذا الصدد نريد أن نؤكد –كما ذكر ذلك العلامة يوسف القرضاوي، إن ثقافتنا – نحن العرب والمسلمين عامة – ثقافة متميزة، ولكن كثيرين يسألون عن هوية هذه الثقافة: أهي عربية – وأضيف وأتساءل أنا أيضاً :- أهي ألبانية أم ملايوية أم تركية...الخ - ؟ وكأن إثبات أحدهما ينفي الآخر بالضرورة، وهذا غير صحيح، لأن العروبة هي لسان الإسلام، ولسان قرآنه وسنة نبيه ولسان عبادته، ولسان التفاهم المشترك بين علمائه. والإسلام هو الذي أخرج العرب – وأقول غير العرب أيضاً - من الظلمات إلى النور، وحولهم من رعاة غنم إلى رعاة أمم..ثم يضيف الشيخ القرضاوي قائلاً: "..ومن هنا نرى أنه لا تناقض بين العروبة والإسلام، ولا نجد غضاضة في وصف ثقافتنا التي نعتز بها والانتماء إليها: أنها ثقافة عربية إسلامية معاً- لا نقول هذا

[36] القرضاوي، يوسف؛ **ثقافة الداعية**، مكتبة وهبة، القاهرة، ط 13، 2004 ، ص 93-113

[37] القرضاوي، يوسف؛ **ثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق**، ص 19 ، وانظر: المرصفي؛ **الثقافة الإسلامية و أثرها في تكوين الشخصية الإسلامية**،ص: 30-45

مجاملةللإسلام، و لا تملقاً للعروبة بل هي الحقيقة الناصعة التي دلت عليها الدلائل والبراهين.." [38]. ونحن نقول أيضاً تعقيباً على كلام الشيخ حفظه الله: لا تناقض بين الملايوية أو الألبانية أو التركية والإسلام، ولا نجد أي غضاضة في وصف ثقافتنا التي نعتز بها وننتمي إليها بأنها ثقافة عربية إسلامية من جانب، و أيضاً بأنها ثقافة إسلامية ألبانية أو ملايوية أو تركية من جانب آخر، والله أعلم.

فمن خصائص هذه الثقافة (العربية – الملايوية – الألبانية – التركية..الخ) الإسلامية

الربانية، الشمولية والكمال، التوازن والاعتدال، التطور والثبات، الواقعية، والإنسانية، والأخلاقية، والعالمية. وفيما يلي بيان هذه الخصائص بإيجاز شديد.

أولاً: الربانية: فثقافتنا ثقافة إلهية منزلة من عند الله تبارك وتعالى. والربانية نسبة إلى الرب تبارك وتعالى، لأن التصور الإسلامي تصور رباني. والإسلام دين كامل لا يحتاج إلى تكميل وتام لا يحتاج إلى تتميم، وهو هدى ونور ورحمة وسعادة، فهي ثقافة مباركة طيبة، يأخذها المسلم بثقة واطمئنان بتفاعل وحيوية. فهي ربانية المصدر، ربانية الوجهة والانطلاق، ربانية الحقائق والتصورات وربانية النتائج والثمرات. مبادئها سامية، سالمة من النقص والجهل والخطأ، تتوافق مع العلم ولا تتعارض، ليس فيها التناقض ولا التعارض ولا التمزق ولا اضطراب، يسيرة وواضحة، منسجمة مع الفطرة الإنسانية السليمة.

ثالثاً: الشمولية: ومعنى " الشمول"، أنها تستوعب كل جوانب الحياة وتدخل في كل مجالاتها، ومعنى " الكمال" أي أنها تامة وافية لا نقص فيها ولا عجز في مبادئها. فالإسلام دين شامل ونظام كامل، فهو دين ودولة، وعقيدة وعبادة، وهو حكم وقضاء، وشريعة وقانون، ومصحف وسيف، وجهاد ودعوة، وسياسة واقتصاد، وعلم وخلق، وتوجيه وعلم. ومن مظاهر الشمول: توحيد الألوهية أي إفراد الله بالعبادة والإيمان، وعبودية كل مخلوق لله تعالى، وشمول النظرة إلى حقيقة تركيب وخلق الإنسان. فهو ثلاثي التركيب متوازن متكامل؛ من عقل وروح وجسد. والشمول في النظرة إلى الدنيا والآخرة، وهما ليسا متنافرتين ولا متضادتين، وإنما هما داران متكاملتان، فالدنيا تمهد للآخرة وهي مزرعة الآخرة، فمن زرع في الدنيا حصد في الآخرة.

ثالثاً: التوازن والأعتدال والوسطية وعدم التطرف، و هذه الخصيصة متصلة اتصالاً وثيقاً بالشمول، فالثقافة الإسلامية ثقافة شاملة وكاملة، وشمولها وكمالها متوازن معتدل وسطي، لا جور فيه ولا تطرف ولا مغالاة. فمعنى التوازن: هو التناسق والانسجام والترابط، بحيث يعطي حقه ﴿ بالقِسْطِ ﴾ أو ﴿ بالقِسْطاسِ المسْتَقيم﴾ بلا وكس ولا شطط ولا غلو ولا تقصير ولا

[38] المراجع السابقة بتصرف يسير

طغيان ولا إخسار..، كما إشار إلى ذلك القرآن الكريم: ﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴾، [الرحمن:7-8]، فظاهرة التعادل أو التوازن موجودة في الكون وفي خلق الإنسان وفي كل شيء..[39]. ومن مزايا الوسطية والتعادل: أن الوسطية أليق بالرسالة الخالدة، تعني العدل، وأن الوسطية تعني الاستقامة، والوسطية دليل الخيرية، والوسطية تمثل الأمان والقوة، وأن الوسطية مركز الوحدة.

وأما **مظاهر الوسطية** في الإسلام ومجالاتها في العقيدة والعبادة والشعائر والأخلاق..الخ،[40]. فيمكن ملاحظة هذه الوسطية أو التوازن في عدة مجالات، منها: أن الإنسان مأمور بعبادة ربه، ولكن بجانب ذلك فهو مأمور أيضاً باهتمام أولاده ونفسه و مجتمعه، و هذا أيضاً نوع من التعبد، قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾، [التحريم:6]، وقال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾، [القصص:77]

رابعاً: الواقعية: فالشريعة الإسلامية لا تكلف البشر فوق ما يطيقون، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾، [البقرة: 286] وأن الإسلام يراعي حال البشر في اليسر والعسر، في الصحة والمرض، في الفقر والغنى. فالتشريعات الإسلامية موضوعة للإنسان من حيث هو إنسان، فيه القوة والضعف، فيه الحزن والفرح، والأمثلة في هذا الباب كثيرة، فهي أباحت للمضطر أكل الحرام من الطعام، و أوجب التيمم حين فقد الماء، ورخصت بالجمع و القصر في السفر، والزكاة واجبة على الأغنياء وليس اللفقراء...الخ، فالحمد لله أولاً و آخراً.

خامساً: الأخلاقية: إن للأخلاق الحميدة أثر عظيم في نفوس المسلمين. والإسلام وسع في هذا المجال وربط الأخلاق بأهداف راقية، و وأصلها بفكرة الإلزام والجزاء، جزاء في الدنيا وجزاء في الآخرة، وحررها من غلو الجاهلية، ورفع الأخلاق مكاناً علياً عندما جعلها غاية أسمى للرسالة المحمدية، " **إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق** " [41]. وفصل آداباً للعالم والمتعلم والقارئ والسامع والباحث والمناظر..آداباً في كل شيء في الحياة، من أدب المائدة إلى بناء الدولة. واعتبر الإسلام الأخلاق ثمرة الإيمان الصادق والتعبد الخالص، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴾، [الحجرات:12].

---

[39] انظر: القرضاوي، يوسف؛ **الخصائص العامة للإسلام**، ص 129-131، وانظر: الخالدي وزملاؤه؛ **الوجيز في الثقافة الإسلامية**، ص 89-94

[40] القرضاوي، يوسف؛ **الخصائص العامة للإسلام**، ص 130-141

[41] رواه الإمام البخاري في **الأدب المفرد**، بيروت، ط1، 1980، ص 50

ولا تعترف ثقافتنا الإسلامية بتجزئة الأخلاق: أخلاق لمعاملة المسلمين وأخرى لغير المسلمين، فالخير خير للجميع، و الشر شر للجميع، والحلال حلال للكل والحرام حرام على الكل،لا كما جاء في توراة اليهود المحرفة أن الربا إذا كان بين الإسرائيليين فحرام عليهم، ولا بأس بالربا ولا حرج فيه إذا كان مع غير الإسرائيلي [42] ! ومن ثم لا انفصال في ثقافتنا الإسلامية بين الأخلاق والعمل، وبين الأخلاق والعلم، وبين الأخلاق والاقتصاد، ولا بين الأخلاق والسياسة ولا بين الأخلاق والحرب [43] .

سادساً: **الإنسانية**: والإنسانية أيضاً من أهم خصائص ثقافتنا الإسلامية. فروح الإسلام هي احترام الإنسان، ورعاية فطرة الإنسان وكرامة الإنسان وحقوق الإنسان، لأن الإنسان مخلوق مكرم، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾[الإسراء: 70]، وأن الله تبارك وتعالى جعله خليفة له، وسخر له ما في السماوات وما في الأرض جميعاً منه. فالإنسان مكرم بإنسانيته قبل ديانته، قال تعالى:﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ﴾، [هود:50]، وقال تعالى:﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ﴾، [هود:61]، وقال تعالى:﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾، [الأعراف:85]، فالأنبياء عليهم السلام، كما قال العلماء، كانوا إخوة في الإنسانية بين بني جنسهم، مع اختلاف الدين والمعتقد فيما بينهم. وكما ورد في صحيح البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قام واقفاً عندما مرت جنازة ميت، فقيل له إنها جنازة يهودي؟ فقال: أليست نفساً ؟ بلي يا سيدي يا رسول الله، فإن لكل نفس في الإسلام حرمة ومكان[44]. وكما ورد في صحيح البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قام واقفاً عندما مرت جنازة ميت، فقيل له إنها جنازة يهودي؟ فقال: أليست نفساً ؟ بلي يا سيدي يا رسول الله، فإن لكل نفس في الإسلام حرمة ومكان[45].

سابعاً: **العالمية**:إن ثقافتنا الإسلامية ثقافة إنسانية للعالم أجمع، ورسالتها عالمية للناس أجمعين دون استثناء، وهذه الثقافة جاءت وعملت على تقريب الفوارق بين الناس، فلأجل ذلك ترى بين المسلمين بيضاً وسوداً، وأغنياء وفقراء، وملوكاً وعبيداً، ومن كان يهودياً أو نصرانياً أو مجوسياً. وقد أكدنا من قبل ونؤكد هنا مرة أخرى لا تنافي ولا تناقض من كون مصادر ثقافتنا –

[42] انظر: دولة، محمد علي؛ **اليهود المعتدون ودولتهم إسرائيل في مؤلفات محمد الغزالي**، الدار الشامية، بيروت، ط2، 2002، ص 47-57، 99-103

[43] القرضاوي، يوسف؛ **ثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق**، ص 23-24، بتصرف، والغزالي، محمد؛ **دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين**، دار القلم، دمشق، ط4، 2003، ص 19-27

[44] القرضاوي، يوسف؛ المرجع السابق، 24-25 ، وانظر: القرضاوي، يوسف؛ ؛ **الخصائص العامة للإسلام**، ص 57 -99

[45] القرضاوي، يوسف؛ المرجع السابق، 24-25 ، وانظر: القرضاوي، يوسف؛ ؛ **الخصائص العامة للإسلام**، ص 57 -99

عربية أو ملايوية أو ألبانية أو تركية..الخ – من جهة، وإسلامية وعالمية من جهة أخرى، لأنها عالمية ومفتوحة لكل الجماعات البشرية وليس منغلقة على نفسها ولا متعصبة ضد غيرها، مثل الثقافة اليهودية المنغلقة على نفسها، التي تقوم على تمجيد جنس خاص أو شعب معين مختار [46]. وأما ثقافتنا وإن كتبت بالأحرف العربية إلا أنها انطلقت من الإسلام، والإسلام نفسه عالمي الرسالة، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾، [البقرة: 21]، وقال تعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾، [الفاتحة:1]، و قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾، [الأنبياء:107]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ، [الأعراف:158]

ثامناً: التسامح: إن ثقافتنا الإسلامية تمتازعن بقية الثقافات أيضاً بكونها متسامحة مع غيرها من الثقافات على أساسين اثنين: الأول: أن اختلاف البشر في الأديان والثقافات إنما هو بمشيئة الله تعالى وحكمته، وليس لأحد التدخل في تغيير سنن الله وحكمته، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾، [هود: 118-119]، **قال المفسرون: أي للاختلاف والتنوع خلقهم**. الثاني: إن حساب ضلالهم وانحرافهم على الله تعالى يوم القيامة، وليس لأحد من الناس اليوم، قال تعالى: ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ ۖ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ۖ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾، [الشورى: 15]، و هذا هو السر في كون الثقافة الإسلامية ميداناً واسعاً وفسيحاً للأديان المختلفة، والأجناس المختلفة، والألوان المختلفة، واللغات المختلفة، و لم تضق في يوم من الأيام بدين أو أو عرق أو لون أو لسان..فلهم جميعاً ذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم.

تاسعاً: التنوع: ففيها الدين بفروعه وأجزائه المتعددة، واللغة والأدب والفلسفة، والعلوم الطبيعية والرياضية، والعلوم الإنسانية، والفنون المختلفة..ففيها فقه أبي حنيفة ومدرسة الرأي، وفقه مالك ومدرسة الأثر، وكلام الأشعري وتفسير الطبري ورواية البخاري، وأدب الجاحظ ومعجم الخليل ونحو سيبويه..وبصريات ابن الهيثم ورياضيات البيروني، وتصوف الغزالي..وفلسفة ابن رشد...ففيها بن حنبل من العراق وابن تيمية من الشام..وابن العربي من المغرب، وابن حجر من مصر..والشيرازي من

[46] المرجع السابق بتصرف، وانظر: الغزالي، محمد؛ **علل وأدوية**، دار القلم، دمشق، ط4، 2003، ص 31-40، وانظر أيضاً للأهمية: القرضاوي، يوسف؛ **ثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق**، ص 23-25، بتصرف

إيران..والدهلوي من الهند، وجلال الدين الرومي من تركيا..ففيها سلفية ابن تيمية وصوفية ابن عربي..وفيها ظاهرية ابن حزم ومقاصدية الشاطبي..وفيها عقلانية الفلاسفة والتزام الفقهاء، وفيها اجتهاد المجتهدين وتزمت المقلدين..وفيها الكتب المكتوبة المقروءة والصور المشاهدة..المسجد الأموي في دمشق، الحمراء في الأندلس والأزهر في مصر والسلطان أحمد في إسطنبول..إنه التنوع الشامل أو الشمول في التنوع...ومما ينبغي التنبيه عليه هنا أن تراثنا الثقافي لشموله وسعته وتنوعه وواقعيته... تحتوي على المفردات الثقافية ما لا يصح أن تكون مصدراً لتوجيه عموم الأمة وتثقيف ناشئيها بنين وبنات – *وللأسف الشديد فإن أعداء الإسلام من المستشرقين والمستغربين اعتمدوا عليها في فهم الإسلام وبث السموم الفكرية والدينية والثقافية ضد القرآن والسنة من خلالها*–...ففي هذا التراث الإسلامي الضخم فيها صلاح أهل السلوك وخلاعة أهل البطالة، وفيها زهديات أبي العتاهية وخمريات أبي نواسس، ومرثيات الخنساء ومجون ابن أبي ربيعة..ونرى صوفية الجنيد الملتزمة وشطط الحلاج، وفيها استقامة أهل الاتباع وانحراف أهل الابتداع، وفيها مقولات الفرق المختلفة من أهل الملة والفرق المنشقة عن الملة...هذه الحقائق من تراثنا لا نستطيع إنكارها، ولا أن نحذفها، هي مجال ومنطقة للبحث على المتخصصين والراسخين لأهل العلم وهي مجالات لقراءات خاصة الذين لايخشى عليهم من التأثر بشططها وتطرفاتها في عقيدتهم. والواجب على علماء الأمة الاعتماد في التربية والتعليم والتثقيف على الثقافة المعتدلة والمعبرة عن رسالة الأمة، وعن هويتها ومقوماتها وخصائصها..والواجب عليهم أيضاً الانتقاء والأخذ من كل شئ أحسنه[47]، قال تعالى:﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾، [الزمر: 18]

عاشراً: التكاملية والاعتزاز بالذات. فثقافتنا تكمل بعضها بعضاً. فالثقافة اللغوية تكمل الثقافة الدينية، كما أنها تغذي الثقافة الإنسانية. ولقد أعلنت نصوص الثقافة الإسلامية أنها متممة لما كان قبلها من الثقافات، ومكملة للبناء الذي بدأه رسل الله من قبل ومصححة للمسيرة التي دخلها بعض التحريف أو الانحراف، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾، [فاطر:31]. فهو صلى الله عليه وسلم متمم ومكمل لمكارم الأخلاق:

[47] القرضاوي، يوسف؛ **ثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق**، ص 25–30.. بتصرف يسير..وانظر أيضاً: القرضاوي، يوسف؛**الخصائص العامة للإسلام**، ص 57 – 99 وانظر: الغزالي، محمد؛ **سر تأخر العرب والمسلمين**، دار القلم، دمشق، ط2، 2005، ص 71–139

"**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق** "[48]، ومكارم الأخلاق لم تقطع جذورها من الدنيا. كانت موجودة وستبقى. "

وقد طلب الرسول صلى الله عليه وسلم من أسرى المشركين الذين يحسنون الكتابة ولم يستطيعوا الفدية في غزوة بدر أن يفدوا أنفسهم بتعليم كل واحد منهم عشرة من أولاد المسلمين الكتابة حتى يتقنوا، تعلم منهم زيد ين ثابت رضي الله كاتب الوحي. كما أن ثقافتنا تعتز بذاتيتها وبتميزها عن غيرها وبمصادرها الربانية، وغاياتها الإنسانية، ووجهتها العالمية، وصبغتها الأخلاقية، وأنها وقفت ضد العصبيات الجاهلية التي ميزت الناس بين العرق واللون والنسب واللسان أو الطبقة، وضمت الناس جميعاً في حضنها ورحابها وكونوا نسيج الأمة الإسلامية. لأجل ما تقدم رفضت هذه الثقافة التنازل عن رسالتها العالمية والاستسلام لدعوات "**التغريب**" أو" **العولمة** " أو " **التطبيع** ". [49]

المبحث الخامس: العلاقة بالثقافات الأخرى:

يمكن إجمالها في هذه النقاط:

إن موقف المسلم من الثقافات الأخرى له أربعة مواقف لا خامس لها، ذكر ذلك العلامة ا لشيخ الشنقيطي في تفسيره أضواء البيان، وهي إما: 1- **تركها كلها؛ ضارها ونافعها**، أو؛ 2- **أخذها كلها؛ ضارها ونافعها**، أو؛ 3- **أخذ ضارها وترك نافعها**، أو؛ 4- **أخذ نافعها وترك ضارها** [50]. وفيما يلي بيان هذه المواقف بشيء من الإيجاز والبيان. فنقول إن علاقتنا مع الآخرين تنحصر في:

- **التميز والاستفادة:** إن على المسلم أن يتميز عن غيره من العالمين في كافة شؤونه، عبادة و عقيدة و تعاملاً. دل على ذلك قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران:110]. وعليه فإنه يجب على المسلم أن يكون له علاقة مع غيره من الناس، و أن لا يكون منغلقاً على نفسه، بل عليه أن يكون منفتحاً مع غيره، ولكن بحذر شديد، و أن يراعي في ذلك التوسط. وعليه أن يكون عالمياً وليس عنصرياً. كما أن عليه أن

[48] **رواه الترمذي** في أبواب العلم من حديث أبي هريرة (2688)، وقال حديث غريب، ورواه **ابن ماجة في الزهد** (4169)

[49] القرضاوي، يوسف؛ **ثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق**، ص 30 – 31.. بتصرف

[50] أنظر: با دحدح علي عمر وزملاؤه؛ **الثقافة الإسلامية**، ص 92، نقلاً عن: **أضواء البيان**، للشيخ محمد مختار الأمين الشنقيطي، ص: 825-826.

يستفيد من تجارب الآخرين في كافة المجالات العلمية، فيما يعود على الأمة الإسلامية بالنفع والخير، دون أن يكون هناك مساس أو طعن بالقضايا و المبادئ العقائدية أو الإسلامية.

- **التوفيق، لا التلفيق:** ثم إن المسلم مأمور أيضاً أن يوفق بين مبادئ الثقافة الجديدة المستوردة أو المكتسبة، وبين الثقافة الإسلامية. وهذا التوفيق، هو ما يسمى اليوم بعملية: **إسلامية المعارف**، أو عملية **أسلمة العلوم**، كما عليه العمل في بعض الجامعات الإسلامية العالمية. و عملية التوفيق، أو: الأَسْلمة، إنما تتم بعدة طرق و وسائل، أبرزها: عرض تلك الثقافة المستوردة على الميزان الإسلامي؛ القرآن والسنة وعلى أقوال العلماء المعتمديين والمعتبرين والمشهود لهم بالعلم والصلاح والتقوى، ثم القيام بعملية الغربلة أو التحليل، وإخراج كل العناصر الكفرية أو الشركية المعادية للإسلام، و من ثَمّ إضفاء الصبغة الشرعية أو الإسلامية على تلك العلوم أو الثقافات والعلوم و تقديمها إلى المسلمين. وبهذه العملية العلمية المنهجية المركزة نكون قد وفقنا بين تلك العلوم أو المعارف أو الثقافات، وابتعدنا عن التلفيق والغش والخداع، والله أعلم.
- **القبول، لا الذوبان:** وبناء على ما تقدم، فإن المسلم يسلك في ذلك منهج الأنبياء والرسل، المنهج الوسط، منهج الرغبة والرهبة، والخشية و الرجاء، وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾، [الأنبياء: 90] والمسلم المثقف البصير بأمور دينه و دنياه لا يسمح لنفسه بالذوبان في المجتمعات أو الثقافات الأخرى. و الإسلام هو الدين الوحيد في العالم الذي حفظ و يحفظ للناس انتماءهم العرقي والقومي، كما يدل على ذلك تاريخ الإمبراطوريات الإسلامية في تاريخنا الإسلامي القديم و الحديث.
- **الرفض، لا المقاطعة:** فالذي قيل سابقاً، يقال هنا أيضاً. فإسلامنا يأمرنا بقبول الطيب من الطعام و الشراب والكلام والحكمة والمعرفة والسلوك. ولا سيما عندما نعلم أن إسلامنا قد أقر ببعض العادات والتقاليد الموجودة لدى العرب في الجاهلية، كإطعام الطعام وإكرام الضيف، والشجاعة. وفي العبادات مثل الطواف حول البيت و السعي بين الصفا و المروة..الخ، و لكن ليس عرياناً و لا مكاء و لا تصدية، كما ذكر ذلك القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾، [الأنفال: ٣٥]. وفي هذا العصر الحديث والراهن نلجأ نحن المسلمين إلى سلاح المقاطعة للبضائع والمنتجات الغربية إذا رأينا منهم إساءة وطعناً إلى مقدساتنا الإسلامية، وإلا فلا.

المبحث السادس: دلائل الانفتاح في ثقافتنا

نود أن نقرر ابتداء في هذا المقام بأن ثقافتنا الإسلامية فوق كل ما تم ذكره سلفاً ترفض أن تذوب في ثقافات الآخرين إنها تقاوم تيار " **العولمة**"، و" **التغريب**"، وهذا لا يعني أنها منغلقة على نفسها، ولكنها منفتحة على الآخر بضوابط وأصول.

ولتأصيل هذه المسألة من الناحية القرآنية نقول بأن القرآن الكريم :

1- **مصدق ومهيمن**: قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۖ﴾، [المائدة: 48]. والقرآن الكريم جاء مؤكداً ومهيمناً وحاكماً على تلك الكتب السابقة، لما ورد فيها من العقائد والحقائق الأصيلة، ومصححاً لما وقع فيها من التحريفات العقدية.

2- **الإسلام أبقى الصالح والمفيد من أخلاق الجاهلية**: والرسول صلى الله عليه وسلم لم يلغ كل ما كان عند العرب في الجاهلية. الأعراف والمعاملات الصالحة أبقاها، مثل عبادة الحج التي توارثها العرب من ملة أبينا إبراهيم عليه السلام، والطواف والسعي بين الصفا والمروة. كما أن الإسلام أبطل الطواف حول البيت في حالة العري، لأن العرب كانوا يقولون لا نطوف بالبيت بثياب عصينا الله فيها ! وفي الزواج كان عند العرب أربعة أنواع من الأنكحة كما ذكر ذلك الإمام البخاري، والإسلام أبطلها وأبقى واحداً منها، هوالذي عليه عمل المسلمين اليوم..الخ

3- **مشروعية اقتباس ما عند الغير**: فقد أجاز العلماء اقتباس ما عند الآخرين من أعراف وعادات وأعمال وأنظمة ومشروعات نافعة للمسلمين، ما دامت لا تتعارض مع عقيدة الإسلام أو شريعته أو أخلاقه. فقد اتخذ الرسول صلى الله عليه وسلم خاتماً لختم رسائله وكتبه، كما يفعل الملوك والأعاجم، وذلك عندما أراد أن يكتب إلى الأعاجم الرسائل فقال الصحابة بأنهم لا يقبلون كتاباً إلا عليه خاتم. كما أن سلمان رضي الله عنه اقترح على الرسول والصحابة حفر الخندق في غزوة الأحزاب، فأخذ الرسول صلى الله عليه وسلم بمشورته. وعمر بن الخطاب اقترح تدوين الدواويين تأسياً بحضارة الأمم الأخرى، كما أنه رضي الله استجاب لعمل تأريخ المسلمين، فاختار أن تكون بدابته الهجرة النبوية..

4- **شرع من قبلنا**: لقد قرر الأصوليون أنه دليل معتبر ما لم يأت في شرعنا ما ينسخه، وإلا لماذا جاء ذكره في القرآن؟ ومن هنا استدلوا على ضرورة اتصاف المرشحين للأعمال والوظائف بالقوة والأمانة معاً، استدلالاً بما ذكره القرآن من قول ابنة الشيخ الكبير:﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾، [القصص:26]. و في سورة يوسف أحكام كثيرة استنبط منها العلماء كثيراً من المصالح الشرعية المرسلة لحفظ الأديان والنفوس والعقول والأنساب والأموال من قوله تعالى: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴾، [يوسف: 47] ،

كما استنبط العلماء قواعد دينية سامية [51] من مثل قول سيدنا يوسف للملك: ﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾، [يوسف:55]، مشروعية طلب الإنسان للولاية إذا علم أنه لها أهل، وليس من يقوم مقامه في العدل والإصلاح وتوصيل الحقوق إلى الفقراء..[52] .

5- **المسلم يلتمس الحكمة من أي وعاء خرجت**: المسلم الحق يعلم علم اليقين أن الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم أمراه أن يلتمس الحق في آفاق الكون وفي أعماق النفس الإنسانية أو في التاريخ البشري، قال تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾، [الذاريات: 20-21]، وقال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾، [فصلت: 53]. والقرآن الكريم يقرر لنا أن الحق قد ينطقه غير المؤمنين، و يؤخذ عنهم بغض النظر عمن قاله، فالعبرة بما قيل وليس بمن قال، قال تعالى: ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾، [النمل:34]، ونقل لنا القرآن الكريم قول امرأة العزيز حين قالت:﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾،[يوسف: 53]، وبعض المفسرين مالوا إلى أنه من كلام يوسف، ولكن السياق القرآني يقطع بأنه من كلام امرأة العزيز.

6- **المنافق قد يقول كلمة الحق**، كما جاء ذلك في سنن أبي داود من حديث معاذ بن جبل، قال صلى الله عليه وسلم: " إياكم وما ابتدع، فإن ما ابتدع ضلالة، وأحذركم من زيغ الحكيم، فالشيطان قد يقول كلمة الضلالة على لسان الحكيم، وقد يقول المنافق كلمة الحق" [53].

7- **ثقافة ترحب بالحوار**: والقرآن الكريم حافل بالحوار بين الأنبياء وأقوامهم، مثل إبراهيم عليه السلام مع قومه في سورة الأنعام وسورة الأنبياء والشعراء وحواره مع أبيه في سورة مريم، وحوار شعيب مع قومه في سورة هود، وحوار موسى عليه السلام مع فرعون، وحوار الله عز جل مع الملائكة والمشركين.. قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾، [البقرة: 30]

---

[51] للتوسع..انظر: عزام، عبد العزيز محمد؛ **القواعد الفقهية**، دار الحديث، القاهرة، ط1، 2005

[52] القرضاوي، يوسف؛ **ثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق**، ص 38-43.. بتصرف يسير

[53] المرجع السابق، ص 38-43

8- **ثقافة تؤمن بالتجديد:** وقد جاء في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله :" **إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها** "، والتجديد يكون: بتجديد الفهم له، وتجدبد الإيمان به، والفقه فيه، وتجديد العمل والالتزام بأحكامه، وتجدبد الدعوة إليه. وعرف التاريخ الإسلامي المجددين من علمائها و خلفائها مثل عمر بن عبد العزيز، والإمام الشافعي الواضع لعلم أصول الفقه، والغزالي الذي أحيا الله به علوم الدين، وابن تيمية وابن القيم..إلخ وتجديد الدين لا بد أن يكون من داخله وبأدواته، وعن طريق علمائه، والاجتهاد الحق من أهله [54]. وأهل الاجتهاد في الدين معروفون، لا بألقابهم، ولا بأزيائهم، ولا بشهاداتهم، ولكنهم من توفرت فيهم الشروط العلمية والأخلاقية المعروفة في أصول الفقه.

المبحث السابع: الانفتاح المحذور

إن المسلم الحقيقي منفتح على الآخر، ولكن يشروط وضوابط حتى يكون انفتاحه نافعاً ومأموناً على عقله ونفسه ودينه وعقيدته. وفيما يلي شروط الانفتاح على الآخر أو الانفتاح المحذور. فالعلماء يحذرون من:

1- **الانفتاح قبل النضج:** فمن كان ضعيفاً، قليل الخبرة، ضعيف العلم، سطحي الشخصية، لا يجوز له أن ينفتح على الآخر في ثقافته أو علمه أو قبول ما لديه، وإلا سقط في أول الطريق، كما ورد في بعض الآثار من أن النبي صلى الله عليه وسلم منع عمر بن الخطاب من النظر في صحائف التوراة، خشية تسرب الشكوك إلى إيمانه، لأنه كان في بدايات عهده من الإسلام. ومن هنا نصح العلماء في عدم ابتعاث أولادهم إلى الخارج قبل النضج أو التخرج من الجامعات في بلادهم، حفاظاً على عقيدتهم، لأنه يخشى عليهم أن تغزو عقولهم الشبهات، وتغزو قلوبهم الشهوات. وكذلك ننصح في هذ الأيام بعدم الانفتاح المطلق لمشاهدة القنوات الفضائية، ومواقع الإنترنت، لكثرة ما يعرض فيها من غث وسمين. فحذار حذار من هذا الإبليس المتحضر؛ الفضائيات والانترنتن واتقوا الله في أولادكم وأنفسكم.

2- **الانفتاح المتساهل في الأخذ والاقتباس:** والمقصود بهذا النوع؛ هو الانفتاح المتساهل الذي لا حدود له ولا ضوابط ودون البحث عما يصح وما لا يصح، وما ينفع وما يضر، وما يحتاج إليه وما لا يحتاج إليه، وما يتفق مع كتاب

[54] أبا حسين، فهد بن سعد؛ **كيف نفهم التيسير– وقفات مع كتاب(افعل ولا حرج)**، دار المحدث للنشر الرياض،، ط1، 1428 هـ، ص 109-111

ربنا وسنة نبينا وما لا يتفق. وقد أتى على الأمة الإسلامية حين من الدهر وهم لم يحسنوا فهم هذا النوع من الانفتاح، وهذا ما عرف بـ: الاسرائليات، التي راجت كثيراً في كتابات العلماء، من المفسرين وغيرهم، ولم يأخذوا منها الصحيح من المنقول أو الصريح من المعقول. و هذا النوع من الغزو الفكري أو الثقافي اليهودي منذ قديم الزمن دُسّ في كتابات المسلمين، والقرآن الكريم قد سجل عليهم تحريفهم لكتبهم، قال تعالى: ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: 75].

3- **الانفتاح المبهور بثقافة الغير**: وهذا الافتتاح أيضاً لا يجوز بأن تضخم ما عند الآخر وتشعر أنت بالدونية تجاهه، حتى تعتقد أن كل ما قاله الآخر هو الصواب وكل ما فعله هو جميل، وكل ما قاله هو صدق..وهذه النظرة نوع من (التأليه)بالفعل أو ربما (تأليه) بالقول. وللأسف حدث هذا في تاريخ المسلمين مرتين؛ مرة عندما تمت ترجمة الفلسفة اليونانية من قبل المسلمين فانبهر المسلمون بها واعجبوا بها في العلوم الطبيعية والرياضية، حيث كانت هذه الفلسفة مخلوطة بالقضايا الميتافيزيقية والمتعلقة بالألوهية..والمرة الثانية انبهر المسلمون بالثقافة الغربية الحديثة التي غزت أمتنا في عقر دارها باسم الاستعمار بوسائل متنوعة ومتعددة. وقد ساعد على هذا الغزو تخلف المسلمين في الاجتهاد والصناعة والابتكار، وشاعت أفكار مقلوبة لدى المسلمين، وفهموا (القدر) على أنه (الجبر)، وفهموا (**التوكل**) على أنها (**التواكل**) وفهموا (**القناعة**) على أنه (**الرضا بالدون**) وفهموا (**الصبر**) على أنها (**الخنوع للطغيان**)، و(**التقوى**) على أنه (**الدروشة**)، و (**الزهد**) على أنه (**إهمال الحياة**)..وفهموا (**الشورى**) على أنها (مُعْلَمة لا ملزمة)..وفهموا (**قوامة الرجل**) على أنها (**قهر للمرأة**). وتأثير الثقافة الغربية في العصر الحديث على الناس هو تاثير واضح وكاسح في الجماهير وفي الطبقات المختلفة من الناس للأسف الشديد. وعلى الدعاة وحراس العقيدة أن يقفوا لها بالمرصاد، لمواجهة هذا الخطر وفق الأسس والضوابط التي ذكرناها في هذه الورقة [55]

[55] : القرضاوي، يوسف؛ **ثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق**، ص 71-79، ونظر: با دحدح علي عمر وزملاؤه؛ **الثقافة الإسلامية**، ص 85-103،

الخاتمة

وفي الختام أسأل الله تبارك وتعالى أن ينفع بهذا البحث المثقفين المسلمين أينما كانوا و أن يجعله خالصة لوجهه الكريم، و أن يدخر الله لي ثوابه ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم وعمل مخلص، إنه تعالى سميع قريب مجيب، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

انتهيت من كتابته : **مساء يوم الأربعاء 26.01.2010 م – سلطنة بروناي**

و تم مراجعاته و ترتيبه مرة أخرى ضحوة يوم االسبت الموافق لـ 3 من ذي الحجة لعام 1436 هـ والموافق 2014/9/27

الدوحة – قطر

المراجع

1. **القرآن ال الكريم**، مصحف المدينة النبوية، مجكع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 2008
2. أبا حسين، فهد بن سعد؛ **كيف نفهم التيسير– وقفات مع كتاب (افعل ولا حرج)**، دار المحدث للنشر الرياض،، ط1، 1428
3. الأشقر، **نحو ثقافة إسلامية أصيلة**، دار النفائس، عمان– الأردن، ط12، 2001،
4. بادحدح، علي عمر ؛ **الثقافة الإسلامية**، دار حافظ، جدة– المملكة العربية السعودية،ط1، 1425هـ
5. بن منظور، جمال الدين بن مكرم؛ **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، لبنان، ط.د، ت.د
6. جريشة، علي ؛ **أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي**، دار الوفاء، المدينةالمنورة، ط3، 1979
7. الجنيدي، عبد الله شاكر؛ **محاضرات في الثقافة الإسلامية**، دار الاندلس، حائل، ط 3، 2004
8. حسن ضياء الدين عتر؛ **المعجزة الخالدة**، دار نور المكتبات، جدة، ط4، 2002
9. دولة، محمد علي؛ **اليهود المعتدون ودولتهم إسرائيل في مؤلفات محمد الغزالي**، الدار الشامية، بيروت، ط2، 2001
10. الزرقاني، عبد العظيم؛ **مناهل العرفان في علوم القرآن**، دار الملايين، بيروت، ط4، 1999
11. سعيد، همام & الخالدي، صلاح؛ **الوجيز في الثقافة الإسلامية**، دار الفكر، عمان، الأردن، ط1، 2002
12. السنيدي، سلمان بن عمر، **تدبر القرآن**، كتاب المنتدى الإسلامي – مجلة البيان، ط1، 2001،

13. الشاطبي، أبو إسحاق الغرناطي، **الموافقات في أصول الشريعة**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 2004

14. صالح هندي وزملاؤه؛ **الثاقفة الإسلامية**، دار الفكر، عمان- الأردن، ط2، 2000

15. عزام، عبد العزيز محمد؛ **القواعد الفقهية**، دار الحديث، القاهرة، ط1، 2005

16. علوان، عبد الله ناصح؛ **الشباب المسلم في مواجهة التحديات**، دار القلم، دمشق، ط4، 2002

17. الغزالي، محمد، **كيف نتعامل مع القرآن**، دار المعرفة، القاهرة، ط2، 1996

18. الغزالي، محمد؛ **السنة النبوية بين أهل الفقه والحديث**، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1995

19. الغزالي، محمد؛ **دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين**، دار القلم، دمشق، ط4، 200

20. الغزالي، محمد؛ **سر تأخر العرب والمسلمين**، دار القلم، دمشق، ط2، 2005

21. الغزالي، محمد؛ **علل وأدوية**، دار القلم، دمشق، ط4، 2003

22. فايز، حابس؛ **الثقافة الإسلامية – المستوى الثاني**، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، ط1، 2006

23. القرضاوي، يوسف، **الخصائص العامة للإسلام**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط10، 1997

24. القرضاوي، يوسف، **كيف نتعامل مع القرآن**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2،

25. القرضاوي، يوسف؛ **ثقافتنا بين الانفتاح و الانغلاق**، دار الشروق، القاهرة، ط2، 2005

26. القرضاوي، يوسف؛ **ثقافة الداعية**، مكتبة وهبة، القاهرة، ط 13

27. القرضاوي، يوسف؛ **ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده**، مكتبة وهبة، القاهرة، ط3، 1993

28. القطان، مناع، **مباحث في علوم القرآن**، دار المعارف، الرياض، ط 3

29. اللاحم، خالد بن عبد الكريم، **مفاتح تدبر القرآن و النجاح في الحياة**، الرياض، ط1، 2004

30. محي الدين بن قدرت السمرقندي؛ **تقسيم السنة إلى تشريعية وغير تشريعية**، دار الكتب العلمية، بيروت، 2008

31. المرصقي، سعيد؛ **الثقافة الإسلامية و أثرها في تكوين الشخصية الإسلامية**، دار اليقين، المنصورة، ط1، 2005

32. مسلم، مصطفى؛**الثقافة الإسلامية: تعريفها– مصادرها– مجالاتها– تحدياتها**، مؤسسة الرسالة،بيروت،ط1، 2004

33. مصطفى، نادية محمود؛ **خصائص الثقافة العربية والإسلامية**، دار السلام، القاهرة، ط1، 2006

34. يالجن، مقداد؛ **تربية الأجيال على أخلاقيات وآداب المناقشة والمحاورة والمناظرة العلمية**، دار الكتب العالمية، المملكة العربية السعودية، ط1، 2004

35. يالجن، مقداد؛ **سبل النهوض بالطلاب خلقياً وعلمياً إلى مستوى أهداف الأمة**، دار عالم الكتب للطباعة، المملكة العربية السعودية ط1، 1999

36. **http://www.balagh.com/mosoa/ejaz/ay0zqw4o.htm**